إلى المسرف في الطعام والشراب

الإسراف: هو مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكنى ونحو ذلك من الغرائز الكامنة في النفس البشرية.

ومن المعلوم أن الإسراف في تناول الطعام يؤدي إلى السمنة وضخامة البدن وأمراض السكر والضغط والقلب وغير ذلك مما لا يخفى على عاقل، وتتبع الإسراف سيطرة الشهوات على الإنسان، وبالتالي التثاقل، والتكاسل عن أداء العبادات والواجبات اليومية، ولعل ما ذكر من تبعات الإسراف يظهر الحكمة من نهي الله ورسوله ﷺ عنه، قال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ـ الأعراف: 31).

وقال رسول الله ﷺ «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه» صحيح أخرجه الترمذي (2380)، وصححه العلامة الألباني.

وللإسراف أسباب وبواعث توقع فيه وتؤدي إليه نذكر منها:

أولا: النشأة الأولى

فقد يكون السبب في الإسراف النشأة الأولى، وذلك أن المسلم قد ينشأ في أسرة مترفة باذخة فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي إلا من رحم الله على حد قول القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا
على ما كان عوده أبوه

ثانيا: السعة بعد الضيق

وقد يكون الإسراف سببه السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وذلك أن كثيرا من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر وهم صابرون محتسبون، بل وماضون في طريقهم إلى ربهم، وقد يحدث أن تتغير الموازين وأن تتبدل الأحوال، فتكون السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط، أو الاعتدال، فينقلب عيشهم إلى النقيض تماما فيكون الإسراف أو التبذير.

ولعلنا بهذا ندرك شيئا من أسرار دعوة الإسلام وتأكيده على ضرورة الاعتدال في جميع الأحوال.

ثالثا: صحبة المسرفين

وقد يكون سبب الإسراف صحبة المسرفين ومخالطتهم ذلك أن الإنسان غالبا ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله، لاسيما إذا طالت هذه الصحبة، وكان هذا الصاحب قوي الشخصية شديد التأثير.

ولعلنا بذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام وتشديده على ضرورة انتقاء الأصحاب.

رابعا: الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا

وقد يكون سبب الإسراف الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون، وذلك أنه من طبيعة الحياة الدنيا عدم الثبات أو الاستقرار على حال واحد، بل هي متقلبة، فيوم لك ويوم عليك. قال تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس ـ آل عمران: 140).

والواجب يقتضي أن تكون يا أخي منها على وجل وحذر وتضع النعمة في موضعها وتدخر ما يفيض عن حاجتك الضرورية اليوم من مال وصحة ووقت إلى الغد، أو بعبارة أخرى أن تدخر من يوم إقبالها ليوم إدبارها.

فيا أيها المسرف في التهام لذائذ الدنيا اعلم أنك تضر نفسك أولا، وليس من الحكمة أن يسيء الإنسان إلى نفسه في ماله وصحته وأهله وهو قدوة لهم، وكذلك يجب ألا يغيب عن بالك أن عمر متاع الدنيا قصير، وقد قال تعالى (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ـ الحديد: 20)، وأنا لا أقول امتنع عن التمتع بملذات الدنيا، وإنما أدعوك إلى الاعتدال في ذلك ففي الإفراط بوار وضياع، وفي الاعتدال حياة طيبة.

ورحم الله من قال:

لا ذا ولا ذاك في الإفراط أحمده
وأحمد الأمر ما في الفعل يعتدل

وقال محمود سامي البارودي:

ولا تكن مسرفا غرا ولا بخلا
فبئست الخلة: الإسراف والبخل

شهر الانتصارات

صيحة «وا إسلاماه» نصرت المسلمين في عين جالوت

فى عام 1258م ابتليت الأمة الإسلامية بالغزو المغولي الذي كاد ان ينهي الحضارة الإسلامية بعد ان هجم المغول على عاصمة الخلافة العباسية بغداد ودمرتها بالكامل وقتلت معظم سكانها وحرقت مكتبتها الشهيرة والتي كانت تحوي كنوز الثقافة الإسلامية بين المراجع والكتب والأبحاث النفيسة، وقضي على الخليفة ودولة الخلافة، وانطلق بعدها المغول بجيش ضخم قوامه 120 الف مقاتل نحو الشام بقيادة هولاكو ومعه حلفاؤه من امراء جورجيا وارمينيا واستولوا على مدينة حلب بعد حصارها وارتكبوا مجازر تقشعر لها الأبدان.

ثم اتجه جيش المغول بقيادة ابرز ضباط هولاكو واسمه كتبغا نوين النسطوري الى دمشق حيث دخلها بجيشه، بعد ان اعطوا الأمان لأهلها ولكنهم خربوها.

ثم انطلق المغول بعد السيطرة على دمشق جنوبا واستولوا على بيت المقدس وغزة والكرك والشوبك بعد ان تحالف حاكمها الغيث عمر مع المغول، وكان هدفهم بعد ذلك هو غزو مصر ليسيطروا تماما على الأمة الإسلامية فأرسل هولاكو رسلا لقطز حاكم مصر يحملون كتابا جاء فيه:

من ملك الملوك شرقا وغربا الخان الأعظم. عليكم بالهرب وعلينا الطلب، فأي أرض تأويكم؟ واي طريق تنجيكم؟ واي بلاد تحميكم؟ فمالكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع، فمن طلب حربنا ندم، فان انتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا وان خالفتم هلكتم وتصبح بلادكم منكم خالية.

كان يحكم مصر في ذلك الوقت دولة المماليك بقيادة المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك، وهو صبي صغير يبلغ من العمر 15 عاما، فقام السلطان المظفر قطز وهو من المماليك البحرية بخلعه بعد إقناع بقية افراد ووجهاء الدولة بانه فعل ذلك للتجهيز والتوحد ضد الخطر المحدق بمصر بشكل خاص والمسلمين بشكل عام. وكان الوضع النفسي للمسلمين سيئا للغاية وكان الخوف من المغول مستشريا في جميع طبقات المجتمع الإسلامي، وقد ادرك قطز ذلك وعمل على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين، كما استمال قطز منافسيه السياسيين في بلاد الشام وحاول ضمهم الى صفوفه، وكان ممن انضم معه بيبرس البند قداري الذي كان له دور كبير في قتال المغول فيما بعد.

عقد سيف الدين قطز اجتماعا مع وجهاء الدولة وعلمائها وكان من بينهم العز بن عبدالسلام وتم الاتفاق على رفض إنذار هولاكو والتوجه لقتال المغول، فقام بقتل رسل المغول لإيصال رغبته في قتالهم وأنه جاد بذلك وعلق رؤوسهم على ابواب القاهرة لطمأنة المصريين وبث الأمل والثقة فيهم.

وأمر العز بن عبدالسلام امراء ووجهاء الدول ان يتقدموا بنفائس أملاكهم لدعم مسيرة الجيش المصري، ثم طلب قطز الأمراء وتكلم معهم في الرحيل فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل، ولما وجد منهم هذا التخاذل والتهاون ألقى كلمته المأثورة:

«يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون اموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين».

صمم قطز على لقاء المغول خارج مصر وأخذ زمام المبادرة منهم فخرج يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان عام 658هـ ـ 1260م بجميع عسكر مصر ومن انضم اليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم من قلعة الجبل في القاهرة، والتقى بالمغول في المكان المعروف باسم عين جالوت في فلسطين، في يوم الجمعة 25 رمضان حيث قام قطز بتقسيم جيشه لمقدمه بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبئ بين التلال وفي الوديان المجاورة كقوات دعم ولتنفيذ الهجوم المضاد حين تحين الفرصة لذلك، ثم قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم انسحبت متظاهرة بانهزام مزيف هدفه سحب خيالة المغول الى الكمين في حين كان قطز مستعدا للقيام بهجوم كاسح ومعه قوات الخيالة الفرسان الكامنين فوق الوادي عند انسحاب قوات المقدمة بقيادة بيبرس الى داخل الكمين، اعتقد قائد المغول كتبغا أنه انتصر فهاجم بشدة قوات بيبرس وتبعها الى داخل الكمين وفي هذه الأثناء خرج قطز وبقية مشاة وفرسان الجيش وقاموا بتطويق ومحاصرة قوات المغول، وحدث اثناء القتال ان احرز المغول تقدما في القتال، وعندئذ ألقى السلطان قطز، خوزته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته «وا إسلاماه» واستطاع ومن معه ان يشقوا طريقهم داخل الجيوش المغولية مما اصابها بالاضطراب والتفكك والفزع وهزم الجيش المغولي وسجل التاريخ في هذه المعركة تمكن فرسان الخيالة لجيش المسلمين من هزيمة نظرائهم المغول بشكل واضح في القتال القريب والذي لم يحدث من قبل مع فرسان المغول واستطاع الأمير جمال الدين أقوش قتل امير المغول كتبغا.

بعد معركة عين جالوت قام ولاة المغول في الشام بالهرب فدخل قطز دمشق في 27 رمضان وبدأ في إعادة الأمن الى نصابه في جميع مدن الشام وتعيين ولاه لها وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركة استعادة هيبة المسلمين بقيادة مصر والحفاظ على الحضارة والدولة الاسلامية من الانهيار وتوحيد الشام ومصر تحت حكم سلطان المماليك على مدى ما يزيد على نحو مائتين وسبعين سنة حتى قام العثمانيون 1517م بغزو الشام ومصر بقيادة سليم الأول.

إن الجنة قد خلقها الله تعالى قبل أن يخلق العالمين، وأسكن أباهم إياها قبل أن يوجدهم بسنين.

وإن من أخبار الجنة التي تزيد القلب إيمانا، وتجلي عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا: ما ورد فيها من الأبواب، وأن عدتها ثمانية أبواب، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق: أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) أخرجه البخاري ومسلم.

فليسائل المرء نفسه ماذا قدم من القربات، فإنها مفاتيح أبواب هذه الجنات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة: دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد: دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام: دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة: دعي من باب الصدقة.

فقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، وأرجو أن تكون منهم» أخرجه البخاري ومسلم.

وإن تشوقتم وسألتم عن سعة أبوابها: فوصفها، جعلنا الله تعالى من أربابها، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده: إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة: لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» أخرجه البخاري ومسلم.

وإن سألتم عن درجات هذه الجنان: التي ستقر بما فيها من النعيم العيان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة) أخرجه البخاري.

وإن سألتم عن أول من يدخل الجنة من الأمم، لتثيروا ساكن العزمات والهمم، فيقول أبوهريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له، يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى» أخرجه البخاري ومسلم.

فابشروا يا أمة الإسلام، فإنكم أكثر أهل الجنة دار السلام، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: فكبرنا. ثم قال رسول الله ﷺ: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قال: فكبرنا. ثم قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار: إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» أخرجه البخاري ومسلم.

من روائع الخط العربي

والله غالب على أمره

كتبها الخطاط التركي النابغة سامي وقد ولد في استانبول سنة 1253هـ وتوفي فيها سنة 1333هـ وقد اعتبرته صحيفة جمعية الرسامين العثمانيين أكبر خطاط انجبته البلاد التركية وكان تفوقه بصورة خاصة بخط الثلث الحلبي ولذلك اسموه (راقم الثاني).